

الأسواق والحرف في الموصل من خلال كتابي :

(تاريخ الموصل) لأبي زكريا الأزدي و(الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير

- دراسة موازنة -

م. د. محمد نزار الدباغ*

المقدمة :

يهدف البحث إلى التعرف على الأسواق والحرف في مدينة الموصل ودورها في تنشيط وتوسيع النشاط التجاري لهذه المدينة مع التعرض لأهم هذه الأسواق وتحديد مواقعها وما تنتجه من مواد متنوعة، فضلاً عن أهم الحرف التي كانت سائدة في الموصل، علاوة على بعض الصناعات المحلية وكل ذلك يتم تحقيقه من خلال مقارنة النصوص التي أوردها المؤرخ أبو زكريا الأزدي (ت : ٣٣٤هـ/٩٤٥م) في كتابه (تاريخ الموصل) في جزئه الثاني والذي لم يصلنا غيره، مع روايات المؤرخ عز الدين بن الأثير (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في كتابه (الكامل في التاريخ)، سيما وان كلا المؤرخين من أبناء هذه المدينة العريقة بتاريخها، في محاولة للوصول إلى طبيعة هذه الأسواق وبيان التنوع المهني والحرفي السائد فيها.

قسم هذا البحث إلى مبحثين، تناول المبحث الأول وبعرض سريع مدينة الموصل وتحولها من مدينة عسكرية إلى مدينة تجارية وما صاحب هذا التحول من نشوء الأسواق وتطورها مع وصف لهذه الأسواق من قبل البلدانانيين المسلمين كالمقدسي (ت : ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) وابن حوقل (ت : ٣٦٧هـ / ٩٧٩م) وصولاً لتعداد هذه الأسواق مع إعطاء نبذة عنها ابتداء من سوق القتابيين وانتهاء بسوق الاساكفة، وبيان ما تعرضت له هذه الأسواق من أزمات وفترات ركود اقتصادي بسبب تأثرها بطبيعة الأحوال السياسية السائدة في مدينة الموصل.

واستعرض المبحث الثاني وبتمهيد بسيط أصحاب الحرف والصناعات في الموصل وتعداد فئاتهم من عرب مسلمين وغير مسلمين وتوفر حوانيت خاصة لكل صانع ثم تعرض المبحث لتعداد أهم الحرف التي وردت عند الأزدي وابن الأثير كحرفة البناء والحفارين وحرفة طحن الحبوب وحرفة الآلات الحجرية والأدوات المائية لأن هذه الحرفة قائمة على استخدام أحجار خاصة لطحن الحبوب

* مدرس، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل

الأسواق والحرف في الموصل من خلال كتابي: (تاريخ الموصل) لأبي زكريا الأزدي

و(الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير - دراسة موازنة -

وهي الرحى أو العروب والتي تتحرك اعتماداً على سرعة تيار ماء النهر الذي يؤدي إلى دورانها، وأخيراً تناول المبحث بعض الصناعات المحلية التي وردت عن الأزدي حصراً والتي لم نجد لها ذكراً عند ابن الأثير كصناعة تجفيف اللحوم وصناعة الجبن والسمن، حيث كانت هذه الصناعات منتشرة في الموصل.

تحليل المصادر والمراجع :

يأتي كتاب تاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي (ت : ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) في جزئه الثاني في مقدمة المصادر التي اعتمدها الباحث في إنجاز البحث حيث زود البحث بمعلومات قيمة وذات أهمية عن الأسواق في الموصل وما كانت تنتج من منتجات والإشارات التي أوردها الأزدي عن الأسواق ترتبط في تحديد مواقعها عند كلامه عن بناء دار معينة كالمنقوشة وهي دار الحر بن يوسف والتي الموصل في العهد الأموي فذكر الأزدي أنها تقع بالقرب من سوق القتابين إلى سوق الحشيش، أو حين يحدد موقع مسجد يعود إلى شخص كمسجد ينسب لعلي بن الحسن الهمذاني فيقول أنه يقع بالقرب من سوق الداخل وهكذا... إضافة إلى أنه يتكلم عن حرفة الحفارين وذكر وأرخ بالسنوات دورهم في حفر نهر الحر (النهر المكشوف) وذكر عددهم والمبالغ التي أنفقت على حفر النهر وأورد معلومات عن حرفة طحن الحبوب ووصف طريقة عملها، وأخيراً ذكر بعض الصناعات المحلية والتي انفرد بها عن غيره وخصوصاً ابن الأثير مثل صناعة تجفيف اللحوم وصناعة الجبن والسمن كما سبق ذكره آنفاً.

أما المصدر الثاني فهو كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ / ٢٣٢م) حيث أورد معلوماته عن الأسواق مرتبطة بحدوث الفتن والاضطرابات بين أصحاب المهن والتي كثيراً ما تؤدي إلى أضرار بالغة، أو ترتبط معلوماته عن الأسواق بحدوث فيضان في نهر دجلة والذي يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه وإحداث أضرار بالغة في الأسواق نتيجة دخول المياه إلى الدكاكين. وتأتي معلومات ابن الأثير في بعض الأحيان بتفرد خاص إذ أنه ربما أورد معلومات عن الأسواق من كتاب (تاريخ الموصل) للأزدي من الجزء المفقود الذي لم يصلنا، كما أنه ذكر بعض الحرف وتفنن بها كحرفة البناء فضلاً عن العديد من المصادر.

أما مراجع البحث فمما لا شك فيه أن كتاب تاريخ الموصل لسعيد الديوب جي في جزئه الأول قد أضاف معلومات كثيرة وبخاصة في تحديد مواقع الأسواق في الوقت الحاضر، كذلك كتاب الموصل في العهد الراشدي والأموي لعبد الماجود أحمد السلطان، حيث زود البحث بمعلومات مهمة في تخصصات الأسواق اعتماداً على مسمياتها.

وفيما يخص الرسائل الجامعية فقد أعانت بعضها على إضفاء صورة جمالية للبحث بما قدمته من معلومات وإضافات أسهمت في سد العديد من الثغرات في هذا البحث ولعل أهمها رسالة الماجستير

الموسومة : الكامل في التاريخ مصدرا لدراسة الأحوال الحضارية في الموصل (١٦-٦٢٨ هـ / ٦٣٧-١٢٣٠م) ميسون ذنون العباي، فقد قدمت للبحث استنتاجات ودلائل تشير الى معلومات فريدة من نوعها كذكر رواية لابن الأثير ربما قد تكون من كتاب تاريخ الموصل للأزدي في جزئه المفقود والذي لم يصلنا والتي مفادها زيادة منسوب مياه نهر دجلة مما كان له أثره في دخول الماء للعديد من الأسواق والحادثة ضمن سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٦).

المبحث الأول : أسواق الموصل

أصبحت الموصل من المدن الرئيسية التي اعتنى بها الأمويون^(١)، وبخاصة بعد ان أسست على نهر دجلة الممر المائي الصالح للتجارات والتنقل بين المناطق الشمالية في العراق وبين بغداد والمناطق الأخرى، وقد تحولت بمرور الزمن من مدينة عسكرية بعد تمصيرها الى مدينة مهمة في عالم التجارة^(٢). وبذلك تكون الموصل مركزاً اقتصادياً مهماً تكثرت فيه الأسواق وتلك نتيجة طبيعية لهذا التوسع والمكانة التي نالتها هذه المدينة^(٣).

من المعلوم ان السوق احد المراكز الأساسية للحياة العامة الى جانب الجامع ودار الامارة في المدن العربية^(٤). فكانت معظم أسواق الموصل تقع في قلب المدينة وتحديداً حول المسجد الجامع او بالقرب منه حيث تشكل الأسواق القسم التجاري من المدينة^(٥).

ويذكر المقدسي^(٦) ان الموصل " حسنة الأسواق ... وأكثر الأسواق فيها مغطاة " أي ان الطرقات التي بين الدكاكين مسقوفة من الأعلى، ولا زالت حتى الوقت الحاضر بعض أسواق الموصل مغطاة^(٧). وكان لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة مما يكون في السوق مائة حانوت وزائد^(٨). وأسواق الموصل هي :

١. سوق القتابين :

وهو من الأسواق القديمة في الموصل^(٩). ورد ذكره عند الأزدي في حوادث سنة (١٠٦هـ/٧٢٤م) حين حدد موقع دار المنقوشة والتي هي "من سوق القتابين الى الشارع المعروف بالشعارين الى سوق الاربعاء الى سوق الحشيش"^(١٠). كما أشار الى سوق القتابين ابن الأثير في حوادث السنة نفسها في مجمل حديثه عن بناء الدار المنقوشة وتحديد موقعها^(١١).

سميت القتابين^(١٢)، بهذا الأسم لأنه كانت تُعمل فيها الرَحْل الصغير الذي يوضع على ظهر الابل^(١٣). وموقعها شرقي سوق الشعارين ويعرف اليوم بسوق النجارين قرب مسجد الخلال وتصنع فيه اليوم (المهود) والمراجيح للأطفال والأسرة وصناديق الموتى^(١٤).

٢. سوق البزازين:

يقع بالقرب من المسجد الجامع عند بابه الشمالي^(١٥). فموقعه بين سوق الداخلة والمسجد الجامع^(١٦). أتى الأزدي على ذكره في حوادث سنة (١٦٧هـ/٧٧٩م) عندما وسع الخليفة العباسي المهدي المسجد الجامع حيث أمر بهدم سوق الداخلة للبزازين وما يلي باب السراجين، لذا فسوق البزازين يعرف أيضاً بسوق الداخلة^(١٧).

جاء ذكر البزازين مرة ثانية في حوادث سنة (١٩٣هـ/٨٠٨م) عند الأزدي حين حدد موقع مسجد ينسب لعلي بن الحسن الهمداني وذكر انه يقع بالقرب من سوق الداخلة، على انه من الأرجح القول ان المسجد كان في سوق الداخلة لا الداخلة لأن سوق الداخلة معروف في الموصل، وربما وقع ناسخ الكتاب (تاريخ الموصل) في خطأ غير مقصود عند كتابته اسم السوق^(١٨). وتكرر ذكر السوق في حوادث سنة (٢٠٢هـ/٨٠٧م) عند تحديد موقع منزل والي الموصل سعيد بن مالك الذي كان قرب سوق الداخلة^(١٩).

وورد ذكره عند ابن الأثير في حوادث سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)^(٢٠). عندما حصلت الفتنة بين أهل المربعة والبزازين. وهذا السوق هو لبيع الأقمشة وصناعة البز والتطريز^(٢١).

٣. سوق الأربعاء :

وهو من الأسواق القديمة أيضاً في الموصل، وهذا السوق واسع في وسطه ساحة كبيرة يتجمع فيها العمال والحواسيد ويقع على نهر زبيدة^(٢٢). وهو النهر الذي حفره الحر بن يوسف والي الموصل في العهد الأموي^(٢٣).

وصف المقدسي هذا السوق بقوله: "شبه حصن على نهر زبيدة ويعرف بسوق الأربعاء داخله فضاء واسع يتجمع به الاكورة والحواسيد على كل ركن فندق"^(٢٤). وموقعه بالقرب من قصر المنقوشة^(٢٥)، وهو السوق الذي تم حرقه على يد الخوارج سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م) بقيادة حسان بن مجالد الهمداني الموصلية بعد ان تمكن من دحر صاحب الموصل الصقر بن نجدة بن الحكم الأزدي الموصلية^(٢٦).

أما ابن الأثير فقد ذكره في حوادث سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) عندما تعرضت المدينة للفيضان ومنها الأسواق، فيذكر ما نصه: "وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة فركب الماء الربض الأسفل وشاطئ من سوق الاربعاء فدخل كثير من الأسواق"^(٢٧). وهي من الروايات التي انفرد بها ابن الأثير لأنه أخذها من الجزء الذي لم يصلنا من (تاريخ الموصل) للأزدي^(٢٨). ويرى الديوه جي^(٢٩) ان موقع هذا السوق في الوقت الحاضر في الأرض التي تمتد من موقع الجسر القديم الى سوق الميدان الحالية ولم يعد له ذكر.

٤. سوق الحشيش :

ورد أول ذكر له عند الأزدي في حوادث سنة (١١٦هـ/٧٣٤م) عند تحديد بناء المنقوشة^(٣٠)، وهي دار والي الموصل الحر بن يوسف الأموي^(٣١). ويقع في هذا السوق الفندق المعروف بدار الحواكين حيث ورد ذكره في حوادث سنة (١٣٥هـ/٧٥٢م) حيث اسكن اسماعيل بن علي والي الموصل بقية أسرة الحر بن يوسف الأموي بعد مقتل أخيه يحيى ابن الحر بن يوسف ومصادرة قصره ودوره وفنادقه^(٣٢). وقريبا من سوق الحشيش كان هناك خان لشخص يدعى الحاج ابراهيم وعرف الخان باسمه أي (خان ابراهيم)، و ابراهيم هو ابراهيم بن يحيى بن محمد بن العباس ووالده (يحيى) هو الذي قتل أهل الموصل بعد رفضهم للوالي العباسي محمد بن صول. وورد ذكر خان ابراهيم مرتين في حوادث سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) وسنة (١٦٧هـ/٧٨٣م)^(٣٣). حيث كان يقع قريبا من سوق الحشيش، كما أتى ذكره أي (سوق الحشيش) مرة أخرى في حوادث سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) عندما حدد الأزدي موقعه بالقرب من سوق الطعام في ناحية دور أبي وهب^(٣٤).

وابن الأثير أوجز في ذكر سوق الحشيش على عكس الأزدي حيث يأتي ذكره عند ابن الأثير في حوادث سنة (٢٦٠هـ/٨٧٢م) عندما حصلت الفتنة بين أهالي الموصل واستيكن أحد كبار قواد الأتراك^(٣٥). ويتبين لنا من اسمه (الحشيش) أنه كان يباع فيه علف الحيوانات^(٣٦). لأنها كانت - الحيوانات - الوسطة الرئيسية لتنتقل الناس داخل او خارج المدينة او لنقل الأمتعة والبضائع، والى الأمس القريب كانت بالموصل دكاكين تباع فيها أنواع الحشائش كعلف للحيوانات^(٣٧). أما موقعه فهو موقع سوق باب السراي الحالي^(٣٨).

٥. سوق الطعام :

ورد ذكره عند الأزدي في حوادث سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) حينما ذكر فيه فندق اسماعيل بن علي وحمّامه وقال انهما في سوق الطعام^(٣٩). واسماعيل بن علي والي الموصل في عام (١٣٣هـ/٧٥٠م)^(٤٠). وأتى الأزدي أيضاً في ذكره في حوادث سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) حينما ذكر انه في ناحية دور ابي وهب بالقرب من سوق الحشيش^(٤١).

أما ابن الأثير فورد ذكر سوق الطعام عنده في عدة مواضع خاصة عند حصول فتنة بين اصحاب المهن أنفسهم^(٤٢). ففي سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م)^(٤٣) ذكر ابن الأثير انه حصلت فتنة بين أصحاب الطعام وسوق الأساكفة وتسببت هذه المشكلة في حرق سوق الأساكفة. كذلك في سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)^(٤٤) وقعت فتنة أخرى بين أهل المربعة والبزازين فتدخل فيها أصحاب الطعام فأدى ذلك الى حرق سوق الطعام.

الأسواق والحرف في الموصل من خلال كتابي: (تاريخ الموصل) لأبي زكريا الأزدي

و(الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير - دراسة موازنة -

وهاتان الروايتان انفرد بهما ابن الأثير وربما انهما من كتاب (تاريخ الموصل) للأزدي من الجزء المفقود الذي لم يصلنا^(٤٥).

٦. سوق الدواب :

وكانت تقع ظاهر المدينة قريبة من مقابر قریش جنوب غربي جامع النبي جرجيس^(٤٦)، حيث جاء في حوادث سنة (١١٣هـ/٧٣١م) ما نصه : " وفي أواخر هذه السنة توفي الحر بن يوسف الأموي في الموصل ودفن في مقابر قریش، وكانت بأزاء دورهم المنقوشة وهي بين سوق الدواب وسدة المغازلي"^(٤٧). ونلاحظ من تسميته انه مخصص لبيع وشراء الحيوانات سواء منها ما يذبح للأكل ام ما يستعمل للتقل^(٤٨).

٧. سوق السراجين :

ويقع جنوب المسجد الجامع مقابل باب جابر أحد أبواب الجامع، ورد ذكر هذه السوق في حوادث سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م) حينما هدمها الخليفة العباسي المهدي وأضافها الى المسجد الجامع عندما وسعه^(٤٩). وهذه السوق متخصصة في بيع المنتجات الجلدية كالسروج الخاصة بركوب الخيل، والأحزمة والأحذية وأعنة الخيول^(٥٠).

٨. سوق السقط :

وهي تقع قبلي المسجد الجامع^(٥١)، هدمها الخليفة المهدي وأضافها الى المسجد الجامع عندما وسعه حيث ورد ذكره عند الأزدي في حوادث سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م)^(٥٢).

٩. حوانيت المسجد الجامع :

وكانت تلاصق صحن المسجد الجامع من الخارج^(٥٣). ويظهر انها كانت وقفا للمسجد الجامع^(٥٤).

١٠. سوق الشعارين :

ذكره ابن الأثير في حوادث سنة (١٠٦هـ/٧١٨م) عند حديثه عن موقع قصر المنقوشة^(٥٥). ويبدو انه يقع بالقرب من سوق القتابين^(٥٦). والى الوقت الحاضر هو سوق معروف متخصص في بيع الشعر وما ينسج منه من الخيام وغيرها^(٥٧)، وما زال محتفظا باسمه الى الآن^(٥٨). ويمتد من جامع النبي جرجيس الى شارع نينوى^(٥٩).

١١. سوق الأساكفة :

ويقع بالقرب من سوق الطعام^(٦٠). ورد ذكره عند ابن الأثير في حوادث سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) وسنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)^(٦١) عندما حصلت الفتنة بين أصحاب المهن في السننتين الأنفتي الذكر^(٦٢). ويتبين لنا من كثرة عدد الأسواق في الموصل وتعدد تخصصاتها انها كانت عامرة ورائجة في الحركة والنشاط الاقتصادي اضافة الى انها وضحت لنا مستوى معيشة الناس بها^(٦٣). إلا ان هذه الأسواق لم تستمر في نشاطاتها فقد مرت بفترات من الركود والكساد الاقتصادي متأثرة بالظروف والاضطرابات السياسية منها ظهور حركات الخوارج في فترات معينة والذين دخلوا الموصل أكثر من مرة^(٦٤)، وكانت فترة الركود الاقتصادي في نهاية حكم الدولة الأموية حيث دمرت هذه الأسواق عند مقتل أهل الموصل لمدة ثلاث سنوات^(٦٥) وهروب معظم أهلها إلى خارجها فرارا من القتل^(٦٦).

أما في العصر العباسي فقد نقلت هذه الأسواق سنة (١٦٧هـ/٧٥٤م) إلى مقبرة الموصل فالأزدي يقول: "ان أسواق الموصل كانت حول جامعها وفي سوق الداخل فنقلها إسماعيل بن علي إلى مقبرة أهل الموصل ونقل المقبرة إلى الصحراء خارج الدروب"^(٦٧).

المبحث الثاني : الحرف والصناعات في الموصل:

كانت طبقة الصناع في الدولة العربية الإسلامية تتكون من فئات متعددة عرب مسلمين وغير مسلمين وموالي وأهل ذمة وعبيد وقد أباح لهم الإسلام جميعا القيام بجميع المهن والحرف والتجارة والزراعة^(٦٨). وكان أصحاب الحرف والصناعات في الموصل يعملون في أماكن مخصصة لكل حرفة أو صناعة ولا يختلطون بغيرهم فهناك أسواق الحدادين والنجارين والأساكفة ... الخ وكان لكل صانع حانوت يديره لوحده أو يساعده فيه أبناؤه أو عدد من الصناع والشركاء يعاونهم عدد من المبتدئين يتدربون على أيديهم على نوع من الصناعة حتى يتم إتقانها^(٦٩). ومن الحرف التي ظهرت في مدينة الموصل أيضاً:

١. حرفة البناء وزخرفة المباني :

وهي حرفة قائمة على تزيين المباني بزخارف وتصاوير نافرة او غائرة في الجبس والرخام وفي بعض الأحيان يتم نقشها بالوان النقش فكان هذا عاملا في تنشيط حرفة البناء وزخرفته^(٧٠). وورد ذكر هذه الحرفة عند الأزدي^(٧١) عند بناء الدار المنقوشة لوالي الموصل الحر بن يوسف الأموي حين أبدع المعماريون في زخرفة الدار ونقشها بألوان النقش والساج والفسافس والرخام والفصوص الملونة وما شاكلها. ويتفق ابن الأثير^(٧٢) مع الأزدي في تأكيد وجود هذه الحرفة عند كلامه عن بناء الدار المنقوشة.

٢. حرفة الحفارين :

كان لأصحاب هذه الحرفة دور كبير في حفر الخنادق حول أسوار المدن كوسيلة دفاعية إضافية^(٧٣). وكان خارج سور الموصل خندق حيث ان مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين حفره زيادة في تحصين مدينة الموصل عندما شعر بالخطر العباسي^(٧٤).

لكن نشاط الحفارين برز بشكل ملحوظ حين أمر والي الموصل الحر بن يوسف الأموي بحفر النهر المكشوف او نهر الحر لتوفير الماء للسكان فكان عملا جليلا^(٧٥).

ابتدأ حفر نهر الحر سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م)^(٧٦). وكان سبب حفره أنه كان جالسا في قصره المنقوشة ينظر في مناظر له فرأى امرأة تحمل جرة فيها ماء وهي تحملها ساعة وتضعها ساعة تستريح قليلا لبعد الماء عن البلد، وعندما سأل عن المرأة قيل انها حامل فاستعظم ذلك لجهد حملها وأثر في نفسه^(٧٧).

ويرى السلطان^(٧٨) ان مجرى النهر بعيد عن المدينة، حيث كان تحت سور نينوى ويلاقي السكان مشقة في نقل الماء^(٧٩)، لذا نرى ان الحر بن يوسف جمع العاملين من أهل المهنة وبلغ عددهم على ما ذكره الأزدي في نحو خمسة آلاف رجل^(٨٠)، إضافة للصناع وأهل الهندسة والآلات وجدّ في حفره وعمله^(٨١). وكان قد أنفق مبالغ كبيرة حتى انه لم يرسل الأموال الى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك طيلة سنوات حفر النهر^(٨٢). لكن الحر استمر في حفر النهر الى ان توفي سنة (١١٣هـ/٧٣١م)^(٨٣).

أتى بعد الحر والي الوليد بن تليد العبسي وأكمل حفر النهر^(٨٤). وقد أنجز حفره سنة (١٢١هـ/٧٣٨م)^(٨٥). وبلغ مجموع الأموال التي صرفت على النهر وحفره على ما ذكره الأزدي^(٨٦) ثمانية آلاف الف درهم. وعند ابن الأثير ثمانية آلاف الف درهم^(٨٧). ويبدو ان رقم ابن الأثير^(٨٨) هو الأقرب الى الصحة انسجاما مع امكانية الموصل الاقتصادية^(٨٩).

يظهر لدينا من مدة العمل في النهر والتي استغرقت قرابة أربعة عشر سنة من سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م) حتى سنة (١٢١هـ/٧٣٨م)^(٩٠) أن هناك عدد كبير من الحفارين وكثرة في العمال وأصحاب الخبرة فضلا عن المبالغ الطائلة التي صرفت على حفر النهر ويمكن الوصول لنتيجة وهي بأن حفر رافد من نهر دجلة كان ابتداءه من قرب دير مار ميخائيل ويجري محاذيا للتلول المشرفة على منطقة حاوي الكنيسة (حاليا) ويستمر حتى يمر بمحاذاة المدينة بوضعها الحالي^(٩١)، بعكس ما ادعاه الصوفي حيث يقول : " ثم يدخل المدينة ويوزع بواسطة أنابيب من الخزف على الدور"^(٩٢). ومن خلال هذا المشروع الضخم يتبين لنا ان هذه الحرفة قد كانت منتشرة بشكل كبير في الموصل.

٣. حرفة الآلات الحجرية والأدوات المائية (طحن الحبوب) :

كانت طواحين الحبوب منتشرة في الجزيرة والموصل وبعض قراها وكانت موجودة في قرية بامردان من قرى المرج^(٩٣). وبالموصل في نهر دجلة كان منها مجموعة^(٩٤)، حيث طلب الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك من والي الموصل الحر بن يوسف أن ينصب له في نهر الحر عشرين رحى، إلا أن ما نصب منها هو ثمان عشرة رحى^(٩٥) أو ثمانية أرحاء^(٩٦) وقد أوقفت هذه الأرحاء على النهر وما يحدث فيه^(٩٧) ويظهر أنها كانت تستخدم لطحن الحنطة^(٩٨) لاستخراج الدقيق والذي تصنع منه أرغفة الخبز.

وهذه الطواحين تسمى بالإضافة للرحى تسمية أخرى هي "العربة وجمعها عرب وعروب وعربات" وتتصب على ظهر السفينة في وسط مجرى النهر لتشغيلها ويمكن نقلها من مكان لآخر^(٩٩). وقد وصف ابن حوقل هذه العروب الموجودة في الموصل فقال: "وكان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب"^(١٠٠).

كانت هذه العروب قائمة في وسط الماء الشديد الجريان وموثقة بالسلاسل الحديدية في كل عربة منها أربعة أحجار ويطحن كل حجرين في اليوم والليله خمسين قرأ^(١٠١). وهذه العروب من الخشب والحديد^(١٠٢)، وكانت الأرحاء كبيرة الحجم وهي نوع خاص يجلب من ناحية بسومة بين بلد أسكي موصل والموصل^(١٠٣). نستنتج من كثرة عدد الطواحين في الموصل وما تطحن في اليوم والليله على كثافة سكان الموصل وعلى وفرة الغلات^(١٠٤).

وهناك بعض الصناعات الحيوانية التي وردت عند الأزدي نذكر منها :

١. صناعة تجفيف اللحوم :

وتسمى أيضا بالقديد وكانت شائعة ومعروفة في الموصل للاحتفاظ به وقت الحاجة^(١٠٥)، ويسمى في بعض الأحيان النمكسود^(١٠٦).

٢. صناعة الجبن :

وظهرت وانتشرت في الموصل وأعمالها^(١٠٧)، وخاصة في جزيرة ابن عمر^(١٠٨).

٣. صناعة السمن :

كانت منتشرة في الموصل وأعمالها وكان يعد من تجارة الموصل^(١٠٩). ويتضح مما تقدم أن الصناعات كانت متنوعة في الموصل مما قد يسد الحاجة المحلية فيتم تصدير ما فاض بعضه إلى خارج الموصل.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم توصل الباحث الى عدد من النتائج يمكن اجمالها بالنقاط الآتية :
كثرة عدد الأسواق في الموصل وتعدد تخصصاتها فهناك سوق للقتابين وسوق للبزازين...
وسوق للأساكفة، وكثيرا ما تؤدي بعض المشاكل بين اصحاب الحرف او المهن الى الوقوع في مشاكل
تفرز نتائج خطيرة قد تؤدي الى حرق سوق معين كسوق الأساكفة.
كانت اكثر الأسواق في العصر الأموي تقع في قلب المدينة وبخاصة حول المسجد الجامع
وتشكل العمود الفقري للنشاط الاقتصادي في الموصل، أما في العصر العباسي فقد تم نقلها الى مقبرة
أهل الموصل ونقل المقبرة الى الصحراء خارج الدروب.
تأثر النشاط الاقتصادي وحركة التجارة في الأسواق بالحالة السياسية لمدينة الموصل وبخاصة
عند دخول الخوارج اليها فيصاب اقتصادها بالكساد بسبب هجرة اهلها من منازلهم وأسواقهم خوفا من
القتل.

ان كثرة عدد الأسواق في الموصل ووقوعها جنبا الى جنب وتركزها في منطقة رئيسية حول
او قرب المسجد الجامع يدل على وجود حركة يصاحبها الزحام وهذا انما يدل على كثرة السكان في
مدينة الموصل، فضلا عن التعرف على طبيعة معاشهم وأوضاعهم الاجتماعية، وكل ذلك بمجموعه يدل
على ان الموصل اصبح لها صيت في عالم التجارة.

هناك بعض الأسواق مثل سوق القتابين والبزازين والاربعاء اضافة لسوق الحشيش والطعام
وردت الأخبار عنهم مشتركة في كتابي تاريخ الموصل للأزدي والكامل في التاريخ لابن الأثير، والذي
يراه الباحث انه ربما كانت بعض معلومات ابن الأثير عن هذه الأسواق مقتبسة عن كتاب تاريخ
الموصل للأزدي او انه تفرد بذكر روايات لم ترد عن الأزدي في جزئه الثاني بل ذكر روايات قد تكون
مأخوذة عن كتاب تاريخ الموصل للأزدي في الجزء المفقود الذي لم يصلنا.

هنالك أسواق أوردها الأزدي ولم ترد عن ابن الأثير كسوق السراجين وسوق السقط وحوانيت
المسجد الجامع في الموصل.

وعلى عكس ما ورد في النقطة السابقة فقد أدرج ابن الأثير ذكرا لأسواق لم يوردها الأزدي في
كتاب تاريخ الموصل كسوق الشعارين وسوق الأساكفة والسوق الأخير لم يرد عن الأزدي لأن نشوئه
قد يكون متأخرا.

لم يقتصر احترام الانسان لحرفة معينة على كونه مسلما ام غير مسلم، يهوديا كان ام
نصرانيا، مولى أم عبدا بل على العكس فقد أعطى الاسلام لجميع الناس الحرية للقيام بجميع المهن
والحرف التي يقصد من ورائها كسب الرزق بالحلال والابتعاد عن الحرام والغش.

ان حرفة البناء التي أوردتها كلا المؤرخين كانت متطورة في الموصل لتوفر المادة الأولية وهي الرخام (الحلان) وملاعمته لمناخ الموصل القاري في ذلك الوقت، وتفنن اهل الموصل بنقشه وزخرفته واستخدام الجبس في صنع قوالب رقيقة او سميكة ولصقها على الجدران وتلوينها كما حصل عند بناء الدار المنقوشة التي تنسب للوالي الذي حكم الموصل الحر بن يوسف الأموي.

كان لحرفة الحفارين دور مهم جدا في حفر النهر المكشوف او نهر الحر وذلك لبعده مياه نهر دجلة عن المدينة وحاجة السكان للماء ويتبين لنا من الروايات التي أوردتها مؤرخي الموصل الأزدي وابن الأثير ان عددهم كان كبيرا ويصل الى خمسة آلاف عامل، كما ان المبالغ التي انفقت على هذا المشروع الضخم كانت عالية خلال اربعة عشر عاما وهي المدة التي استغرقتها حفر النهر.

ان حرفة طحن الحبوب كانت قد نشأت اعتمادا على وجود اصحاب الرحى والتي غالبا ما تكون ضخمة وتجلب من مناطق خارج الموصل وذكر لنا الأزدي وابن الأثير انه تم نصب ثماني عشرة رحى على النهر المكشوف (الحر) وكانت الرحى تعتمد في طحن الحبوب على سرعة تيار ماء النهر، فضلا عن وجود رجال يحترفون ادارة هذه الرحى ويعتنون بها وبادامتها وهناك أشخاص آخر يقومون بالاشراف على طحن الحبوب بعد استلامها من سكان المدينة مما يعني ان هنالك مورد اقتصادي للمدينة ناشئ من طحن الحبوب لقاء مبالغ تؤخذ من السكان وتستخدم وقفا لحفر النهر وتكملة حفره حتى يتم انجازه، اضافة لكثرة عدد السكان، بناء على ما يطحن في الرحى في اليوم والليلة علاوة على توفر الغلات.

تقدمت في الموصل بعض الصناعات التي تعتمد على الانتاج الحيواني والتي كانت غالبا ما تسد الحاجة المحلية للسكان فيتم تصدير بعضها الى خارج الموصل لغرض المتاجرة بها كصناعة السمن.

هوامش البحث :

١. عبد الماجود احمد السلطان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، (الموصل، مطابع جامعة الموصل - مديرية مطبعة الجامعة، ط١، ١٩٨٥)، ص٧٦.
٢. ميسون ذنون العبايجي، الكامل في التاريخ مصدرا لدراسة الأحوال الحضريّة في الموصل (١٦-٦٢٨هـ/٦٣٧-١٢٣٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، (بغداد، ١٩٩٦)، ص١٣٤.
٣. السلطان، المرجع السابق، ص٧٧.

الأسواق والحرف في الموصل من خلال كتابي: (تاريخ الموصل) لأبي زكريا الأزدي

و(الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير - دراسة موازنة -

٤. مؤيد عيدان كاطع، الخدمات الصحية في العراق خلال العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٨-١٢٥٨م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ٣٩-٤٠.
٥. أبو زكريا بن محمد بن أياس بن القاسم الأزدي، تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، (القاهرة، لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٦٧)، ج ٢، ص ٢٤٨؛ أحمد الصوفي، خطط الموصل، (الموصل، مطبعة الاتحاد الجديدة، ١٩٥٣)، ج ٢، ص ٥.
٦. محمد بن احمد بن ابي بكر البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ليدن، مطبعة بريل، ط ٢، ١٩٠٦)، ص ١٣٨.
٧. السلمان، المرجع السابق، ص ٧٧.
٨. أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩)، ص ١٩٥.
٩. العباي، المرجع السابق، ص ١٣٤.
١٠. الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤.
١١. عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٥)، ج ٥، ص ١٣٢.
١٢. القتب: هو اكاف البعير وهو الاكاف الصغير على قدر سنام البعير. ينظر: ابو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة، مطبعة بولاق، د. ت)، ج ٢، ص ١٥٣-١٥٤.
١٣. سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، (الموصل، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة الموصل، ط ١، ١٩٨٢)، ج ١، ص ٥١.
١٤. الديوه جي، المرجع نفسه والجزء والصفحة.
١٥. العباي، المرجع السابق، ص ١٣٧.
١٦. الديوه جي، المرجع السابق، ج ١، ص ٥١.
١٧. الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٨.
١٨. المصدر نفسه والجزء، ص ٢٨٦، ٣١٤.
١٩. المصدر نفسه والجزء، ص ٣٥٠.
٢٠. ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢١٢-٢١٣.
٢١. السلمان، المرجع السابق، ص ٧٨.

٢٢. لما استولى العباسيون على الموصل حاولوا ان يطمسوا آثار بني أمية فأطلقوا على النهر أسم نهر زبيدة لأن زبيدة بنت أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، ولدت في الموصل في قصر أبيها المشرف على الرض الأسفل خارج أسوار الموصل القديمة من جنوبها. ينظر : الديوه جي، المرجع السابق، ج١، ص٤٥ ؛ الديوه جي، بحث في تراث الموصل (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٢)، ص٤٢.
٢٣. السلطان، المرجع السابق، ص٧٧.
٢٤. المقدسي، المصدر السابق، ص١٣٨.
٢٥. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج٥، ص١٣٢.
٢٦. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٤.
٢٧. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج٧، ص٣٥.
٢٨. العباي، المرجع السابق، ص١٣٥.
٢٩. ينظر : تاريخ الموصل، ج١، ص٥٥.
٣٠. سميت المنقوشة لأنها كانت منقوشة بالساج والرخام والفصوص الملونة. ينظر : الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧ ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج٥، ص١٣٢.
٣١. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤.
٣٢. المصدر نفسه والجزء، ص١٥٧.
٣٣. المصدر نفسه والجزء، ص٢٢٩، ٢٥١.
٣٤. المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٣.
٣٥. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج٧، ص٢٧٠-٢٧١.
٣٦. العباي، المرجع السابق، ص١٣٥.
٣٧. السلطان، المرجع السابق، ص٧٩.
٣٨. الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١، ص٥١.
٣٩. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٧.
٤٠. السلطان، المرجع السابق، ص٧٩.
٤١. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٣.
٤٢. العباي، المرجع السابق، ص١٣٦.
٤٣. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج٨، ص١٢١-١٢٢.

الأسواق والحرف في الموصل من خلال كتابي: (تاريخ الموصل) لأبي زكريا الأزدي
و(الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير - دراسة موازنة -

٤٤. المصدر نفسه والجزء، ص ٢١٢-٢١٣.
٤٥. العباي، المرجع السابق، ص ١٣٦.
٤٦. الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٥١.
٤٧. الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣.
٤٨. السلطان، المرجع السابق، ص ٨٠-٨١.
٤٩. الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٨.
٥٠. السلطان، المرجع السابق، ص ٧٨.
٥١. الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٥١.
٥٢. الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٨.
٥٣. المصدر نفسه والجزء، ص ٢٤٨.
٥٤. السلطان، المرجع السابق، ص ٧٩.
٥٥. ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٣٢.
٥٦. العباي، المرجع السابق، ص ١٣٦.
٥٧. السلطان، المرجع السابق، ص ٨٠.
٥٨. العباي، المرجع السابق، ص ١٣٦.
٥٩. الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٥١.
٦٠. العباي، المرجع السابق، ص ١٣٦.
٦١. ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢١، ٢١٢-٢١٣، على الترتيب.
٦٢. العباي، المرجع السابق، ص ١٣٦.
٦٣. السلطان، المرجع السابق، ص ٨١.
٦٤. المرجع نفسه والصفحة.
٦٥. الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٢، ١٦٧.
٦٦. السلطان، المرجع السابق، ص ٨١.
٦٧. الأزدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٦-١٦٧.
٦٨. توفيق سلطان اليوزبكي، "الحياة الاقتصادية في الموصل"، في موسوعة الموصل الحضارية لمجموعة باحثين، (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩٢)، مج ٢، ص ٣٢٦.

٦٩. المرجع نفسه والمجلد والصفحة.
٧٠. الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٤٠٣.
٧١. ينظر : تاريخ الموصل، ج ٢، ص ٢٧.
٧٢. ينظر : الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٣٢-١٣٣.
٧٣. السلطان، المرجع السابق، ص ٨٨.
٧٤. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٦.
٧٥. الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٤٣.
٧٦. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦.
٧٧. المصدر نفسه والجزء، ص ٢٧.
٧٨. السلطان، المرجع السابق، ص ٨٩.
٧٩. الديوه جي، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٤٤.
٨٠. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢.
٨١. المصدر نفسه والجزء، ص ٢٨.
٨٢. المصدر نفسه والجزء، ص ٢٩.
٨٣. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣ ؛ ابن الأثير المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٦ ؛ وينظر ايضا : جمال الدين ابي المحاسن بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، د. ت)، ج ١، ص ١٥٩.
٨٤. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥ ؛ ابن الأثير المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٦.
٨٥. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣ ؛ ابن الأثير المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤١.
٨٦. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣.
٨٧. ابن الأثير المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤١.
٨٨. ان رقم ابن الأثير وهو ثمانية آلاف الف درهم يساوي تقريبا (٢٦٦،٦٦٦) جنيهاً، ينظر : سليمان الصائغ الموصلية، تاريخ الموصل، (مصر، المطبعة السلفية، ١٩٢٣)، ج ١، ص ٦٤.
٨٩. السلطان، المرجع السابق، ص ٩٠.
٩٠. الأزدي ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦، ٤٣.
٩١. السلطان، المرجع السابق، ص ٩٠.
٩٢. احمد الصوفي، تاريخ بلدية الموصل، (الموصل، مطبعة الجمهور، ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٨.

الأسواق والحرف في الموصل من خلال كتابي: (تاريخ الموصل) لأبي زكريا الأزدي

و(الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير - دراسة موازنة -

٩٣. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦.
٩٤. السلمان، المرجع السابق، ص٩٠.
٩٥. الأزدي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦.
٩٦. ابن الأثير المصدر السابق، ج٥، ص٢٤١.
٩٧. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٤٣ ؛ ابن الأثير المصدر السابق، ج٥، ص٢٤١.
٩٨. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٢.
٩٩. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠)، ٤٦٢.
١٠٠. ابن حوقل، المصدر السابق، ص١٩٨.
١٠١. الوقر : ما وزنه حمل بغل او حمار. ينظر : ابي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، مفاتيح العلوم، (د.م، مطبعة الشرق، ١٣٤٢هـ)، ص١١.
١٠٢. ابن حوقل، المصدر السابق، ص١٩٨.
١٠٣. شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧)، ج١، ص٤٢٣.
١٠٤. السلمان، المرجع السابق، ص٩١.
١٠٥. المرجع نفسه، ص١١٤.
١٠٦. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٠ ؛ المقدسي، المصدر السابق، ص١٤٥.
١٠٧. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٠ ؛ المقدسي، المصدر السابق، ص١٤٥.
١٠٨. ابن حوقل، المصدر السابق، ص٢٠٣.
١٠٩. الأزدي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٠ ؛ المقدسي، المصدر السابق، ص١٤٥ ؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص٢٠٣.